



يتبع الشعب العربي والإسلامي ما يحدث في سوريا كل صباح ببالغ الأسى والحزن ضارب كفًا بكتاب متسائل عن المخرج للشعب السوري من هذه المذبحة التي تجري على يد بشار وعائلته وشبيحه، وسقوط آلاف القتلى والجرحى، مما يدفع الجميع لتحليل الوضع القائم للثورة السورية والبحث لها عن شبيه في أخواتها العربيات.

يبدأ أنه هناك فروق جوهرية تجعل الحالة السورية فريدة من نوعها بكل المقاييس وتظهر فيها صراعات المصالحة وكثرة اللاعبين بقوة لما تميز به من موقع سياسي ودور تاريخي في المنطقة العربية.

لا شك أن الحالة السورية بعيدة كل البعد عن النموذج المصري والتونسي، لأنها جيوش هذه البلاد لشعوبها أو على الأقل الوقف على الحياد ورفض التصدي لثورات الشعوب مما جعل بسقوط أنظمتها إذ أن الأنظمة الأمنية بكل بطشها وجبروتها لا تستطيع أن تقف يوم كامل أمام الشعوب الثائرة كما حدث في مصر مثلاً.

وتقى المسافة بينها وبين النموذج الليبي، فقد انحاز الجيش للسلطة الغاشمة ولكن سرعان ما أخذ الطرف الدولي زمام المبادرة، فالوضع في ليبيا بسيط ولم يكن للقذافي بوادي ولا أصدقاء ولا تمثل ليبيا خطر إستراتيجي كبير على مصالح الغرب بل ربما يكون الوضع بعد القذافي أفضل بكثير من قبل – على الأقل على حسب ما كانوا يتوقعون –.

ونستطيع أن نقول: أن الشبه يقترب أكثر من النموذج اليمني في ظاهره فسوريا، دولة يحكمها رئيس طائفي بينما في اليمن كان الرئيس قبلى، الانشقاقات في الجيش غير أنه لم يكن له أهمية كبيرة في اليمن فالشعب مسلح ولا يحتاج إلى سلاح الجيش، ولكن في سوريا يمثل تحول خطير في صالح الثورة السورية. ولكن يبقى الفارق الجوهرى الأكثر أهمية هو موقع سوريا الخطير وتحالفاتها الدولية والإقليمية.

يحد سوريا من الجنوب السعودية والأردن، ومن المغرب لبنان وفلسطين المحتلة ومعها إسرائيل الغاصبة، ومن الشمال تركيا، ومن المشرق العراق، ومن هذا الموقع الاستراتيجي يهتم لأمرها كثير من اللاعبين وتنعقد المصالح وتقوم الصراعات. **السعودية وخلفها دول الخليج حاولت كثيراً فتح قنوات الود مع سوريا ولم تدخل وسعاً في تحييدها عن إيران** بيد أن سوريا

ارتمت في أحضانها متكئة على البعد الطائفي بكل قوة مفضلة إياه على البعد الجغرافي والعرقي العربي، مما جعل السعودية ومن خلفها دول الخليج - التي تعتبر إيران ومدتها الشيعي وطموحها الاستعماري في المنطقة هي الخطر الأول على أمنها في المنطقة - تيأس من النظام السوري وتسعى لإسقاطه إذ أنه أصبح خطر على شعبه.

العراق تدعى الحياد في موقفها المنحاز لسوريا لتأثير إيران الواضح على الإدارة العراقية ولها في الداخل ما يشغلها كثيراً عن سوريا وغيرها.

تركيا ما فتئت تعتبر سوريا هي بوابتها إلى العرب وكم قدمت من التسهيلات وعقدت من الاتفاques مع النظام السوري حتى تفرض هيمنتها عليه في شكل الصداقة لكنها وجدت كما السعودية أن النظام السوري هو إيراني في المقام الأول، وقد حاولت في بداية الأزمة أن تتدخل وتكون الوسيط بين النظام السوري وشعبه لكن تدخلها قوبل بصلف النظام السوري وغرووره، وكان باستطاعتها أن يتحول هذا التدخل إلى عسكري ولكن وجدت أن هذه يفقدها رصيدها الشعبي العربي من الاحترام والصدارة إذ الاختلاف العرقي كان سيحول التدخل إلى الاحتلال في نظر كثير من العرب وقوبل أيضاً باعتراض دول كبرى مثل أمريكا وإسرائيل، فكتفت بالضغط مع العرب وتوفير الملجأ الآمن للاجئين والقيادات المنشقة من الجيش.

روسيا بينها وبين النظام السوري تحالف تاريخي قديم تعتقد أن سوريا هي مسماها الأخير في الشرق الأوسط بعد خسارة ليبيا ومصر من قبلها بكثير، وقد سخر منها البعض في موقفها الأخير في ليبيا وتراجعاً عنها عن الفيتتو وانطلقت العبرة المشهورة أن النظام الروسي سياساته أن لا سياسة مما جعلها متحفزة معتبراً الموقف من القضية السورية يمثل لها فرض هيبة وتنذير للعالم بأنها لا تزال قوة كبرى لها تأثيرها الدولي في اتخاذ القرارات وتستطيع أن تقف في وجه الولايات المتحدة إن شاءت.

الصين لاعب جديد ولكنه غبي نزل الملعب قبل الإحماء فلن تنسى دول الخليج والشعوب العربية لها موقفها من القضية السورية، ومن العجيب أن مصلحة الصين أكبر بكثير مع دول الخليج ومعظم دول العالم العربي ما عدا سوريا ولكن يبدو أنها تريد أن تشكل مع روسيا جبهة جديدة أمام الولايات المتحدة.. ولكن نعتقد أنها ستخسر كثير في هذا التوقيت الذي يقيق فيه العرب ويقررون من عدوهم من صديقهم، ولعل هذا ما يجعلها ليلاً نهار وعلى لسان كل متحدث لها تكثر من التبرير والاعتذار عن قرارها بالوقف أمام قرار يدين النظام السوري شعوراً بالخسارة لا بالذنب.

الولايات المتحدة الأمريكية كالعادة موقفها مصلحي بالدرجة الأولى؛ وأن المصلحة في حالة الثورة السورية غير واضحة لها فنعكس ذلك على موقفها، وفي العلن أو الظاهر تتبنى الولايات المتحدة موقفاً متشددًا من النظام السوري يسعى - كما تزعم - لإسقاط النظام السوري، وتقول أنه فقد شرعنته.

وبعد الفيتتو الصيني والروسي جلست تلعب على الحبلين من أنها تريد إنقاذ الشعب السوري ولكن روسيا والصين حالت دون ذلك!!

ومنذ متى تكترت الولايات المتحدة بفيتو روسي أو صيني أو فرنسي، من الواضح أن الولايات المتحدة تمنى بل ولا يبالغ إذا قلنا أنها تسعى لإفشال الثورة السورية.

لسنا من أصحاب نظرية المؤامرة، ولكن دعونا نتفق أن الولايات المتحدة لا تراعي إلا مصلحتها وإذا قررنا ذلك ونظرنا على الأرض نجد أن من مصلحة الولايات المتحدة أن تفشل الثورة السورية بأي طريقة.

لم؟ منينا ينسى تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون وهي تصف النظام المصري قبل أن يسقط بأنه قوي ومتماضك وصديق ثم اضطررت اضطراراً إلى القبول بالثورة المصرية وما فتئت تدعم التيار العلماني واللبرالي في مصر بكل قوة لتنشأ نظام جديد موالي لها على شاكلة النظام السابق.

ثلاث ثورات حتى الآن حسم أمرهم تقريراً وكانت النتيجة أن جاء الإسلاميون واليمين على الطريق وكل المؤشرات تقول أن

سوريا لن تختلف عن سابقتها إذا نجحت الثورة وسقط النظام، وإذا كانت الولايات المتحدة أرغمت على التعامل مع الإسلاميين في مصر ولبيبا وتونس فلما تسمح لسوريا بذلك؟!

ولا ننسى مصلحة إسرائيل العليا التي تحميها الولايات المتحدة وهي مقدسة في أدبيتها، فلم تسقط نظام يحرس الحدود الإسرائيلي طوال ثلاثون عام، ومحتل جزء منه أيضاً، ولم تطلق طلقة واحدة لتحريره خلال هذه الفترة، ومع نظام جديد إسلامي في الأكيد سيبدأ الحديث عن تحرير الجولان وهذا ما لا تريد تخيله حتى أمريكا.

إسرائيل ربما تكون مصلحتها فيبقاء نظام الأسد أكثر من الأسد نفسه للاعتبارات السابقة.

إيران أحقر الناس على النظام السوري للبعد الطائفي والمذهبي، والبعد الإستراتيجي أيضاً، فهو الحليف القوي التي تلعب به وتلوح به لدول الخليج وإسرائيل في نفس الوقت، وهو ذراعها في المنطقة وظهر فيلقها في المنطقة حزب الله، وبسقوطه يسهل إسقاطه.

وهذا يجعل دعم النظام السوري بالميلشيات المدربة من حزب الله وحتى وصول السفن الحربية الإيرانية للموانئ السورية غير غريب.

وهناك أطراف أخرى ولكن لا قيمة لها لذا ضربنا الصفح عن ذكرها.

يبقى الشعب السوري الطامح للحرية رهينة لهذه الصراعات والمصالح المتضاربة ليس له إلا الله – سبحانه وتعالى – كما قالوا ورفعوا الشعارات منادين: لبيك لبيك يا الله.

ونبشر الأمة الإسلامية والشعب السوري بأننا متفائلين بنصر الله وأنه لم يبق لهذا النظام إلا أن تكتب له النهاية قريباً – بإذن الله –.

المصادر: